الفرج بعد الشدة

يحل شهر رجب، ويتذكر المسلمون رحلة الإسراء والمعراج التي أكرم الله بها رسوله - صلى الله عليه وسلم –

توالت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأحزان والآلام: حاصره قومه في شِعب أبي طالب ثلاث سنوات، لاقى فيها هو وأصحابه الجوع والحرمان، ثم فقد رِدءه ومؤازره: زوجته خديجة- رضي الله عنها-، ومات مناصره ومسانده: عمه أبو طالب، فازدادت جراءة كفار قريش عليه، حتى كان أبو لهب يلاحقه في الأسواق والمجامع، يسبه، ويسفهه، ويرميه بالحجارة، ويخبر بأنه كذاب، وبعد أن عرض دعوته على ثقيف بالطائف، لعله يجد منهم النصير والمساعد، فما وجد منهم إلا الصدود والاستهزاء، روى البخاري ومسلم عن عائشة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته، أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: " لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم "، قال: " فناداني ملك الجبال وسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين "، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا»

جاء الإسراء والمعراج ليكون تسلية له لأحزانه وتعويضا، ورفعا من معنوياته وتعضيدا.

فإذا كان قد ذهب إلى الطائف ماشيا، فقد حمل إلى بيت المقدس على البراق، الذي أتي به - صلى الله عليه وسلم - "مُلْجَمًا مُسْرَجًا، فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَبِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا؟ فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ، فارْفَضَّ عَرَقًا" صحيح سنن الترمذي.

وإذا كان صاحبه إلى الطائف خادمه زيد بن حارثة، فإن صاحبه في رحلة الإسراء والمعراج كان جبريل عليه السلام، سيد الملائكة وأشرفهم.

وإذا استقبله أهل الطائف بالسخرية والاتهام والتكذيب، فقد استقبله أنبياء الله في السماوات العلى ورحبوا به كلهم يقول:"مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح."

وإذا ضاقت به الأرض في الطائف، فخرج منها مهموما هائما على وجهه، ففي الإسراء والمعراج انفتحت له أرجاء السماوات، وكان الفضاء كله له مأوى.

إن هذا الملمح من رحلة الإسراء والمعراج هو حديثنا اليوم الفرج بعد الشدة.

يقول الله تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) } [الشرح: ٥ - ٧] روى مالك وغيره ، عَنْ أَسْلَمَ، أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ حُصِرَ بِالشَّامِ، وَنَالَ مِنْهُ الْعَدُوُّ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ [ص:٤٦] بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: " مَهْمَا يَنْزِلْ بِأَمْرِكَ شِدَّةٌ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ بَعْدَهَا فَرَجًا، وَإِنَّهُ لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ .. "

{ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا } [الطلاق: ٧]

{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)} [الطلاق: ٢، ٣]

وتأمل في أحوال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم: هذا يوسف لما صار في ظلامة الجب، ثم في ضيق السجن، كرباً على كرب، وهماً على هم، فماذا حصل بعد ذلك؟ تداركته رحمة الله عز وجل، وهي قريب من المحسنين، فأخرجته من ظلامة الجب، ومن ضيق السجن إلى سعة الملك، وبسط في العيش، وجمع بأهله في حال الرخاء بعد الشدة، وهذا يعقوب ﷺ: عمي من كثرة البكاء والحزن على فقد ولديه، وابيضت عيناه فهو كظيم، تداركته رحمة الله بعد سنوات من الشدة، ومفارقة الأولاد الأحباء إلى نفسه، فجمعهم الله سبحانه بهما على غير ميعاد منهم، وهذا يونس في بطن الحوت: لما نزل به البلاء دعا ربه في مكان ما دعا به أحد من الناس ربه، في جوف البطن المظلم، فاستجاب الله دعاءه.

وهؤلاء الثلاثة من بني إسرائيل الذين دخلوا في الغار فانطبقت عليهم الصخرة: فرج الله سبحانه وتعالى عليهم بعد أن أيقنوا بالموت والهلاك، وهذا إبراهيم وسارة: نجاهما الله من الجبار الكافر الذي أراد أن يأخذهما، بل إن رحمة الله واسعة تشمل الكافر لو كان في كربة عندما تنزل به إذا شاء ربك أن يفرج عنه، روى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه، عن عائشة رضي الله عنها: أن وليدة كانت

سوداء لحي من العرب، فأعتقوها، فكانت معهم، فجاءت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت، فكانت لها خباء في المسجد، أو حفش: وهو البيت الصغير في ناحية من نواحي المسجد، قالت عائشة: "فكانت تأتيني وتتحدث عندي، فلا تجلس مجلساً عندي إلا قالت:

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا *** ألا إنه من بلدة الكفر أنجاني

فقلت لها: ما شأنك، لا تقعدين معي مقعداً إلا قلت هذا؟" قالت: خرجت جويرية – يعني صبية – لبعض أهلي، وعليها وشاح من أدم، هذه القصة في الجاهلية، قبل أن تسلم هذه المرأة، كانت خادمة معهم، فخرجت صبية من أهلي، من الأهل الذين كانت تعيش معهم هذه الخادمة، وخرجت معها خادمتها، وكانت لهذه الصبية، كان عليها وشاح من أدم – من جلد – وفي طريق من أنه أحمر من سيور، فوضعته هذه الصبية أو وقع منها، فمرت به حديات، -الحدأة- فحسبته لحماً، فخطفته، قالت: فالتمسوه فلم يجدوه، جاء أهل البنت الصغيرة فبحثوا عن الوشاح فلم يجدوه، قالت: فاتهموني به -اتهموا هذه الخادمة- فطفقوا يفتشون، فعذبوني، حتى بلغ من أمرهم أنهم طلبوا في قبلي، -فتشوا قبلها- قالت: والله إني لقائمة معهم وأنا في كربي إذ مرت الحديات حتى وازت برؤوسنا فألقته، قال: فوقع بينهم فأخذوه، قالت: فقلت: هذا الذي اتهمتموني به زعمتم، وأنا منه بريئة . وهو ذا هو، ثم كان من أمرها بعد ذلك ما كان من إسلامها، فتأمل حال تلك المرأة المسكينة، ولو كانت كافرة، كيف لما نزل بها الكرب فعذبت، تداركتها رحمة الله بحادثة عجيبة ليست بمعهودة أن يأتي ذلك الطائر فيلقي بالقطعة التي خطفها.

والله لطيف بعباده، لطفه واسع، ورحمته واسعة، فإنه ينقذ العباد من الضيق، ولو كان في أعتى صوره، ولا يتخلى سبحانه عن المخلوقين، وهذه القصة التي نسوقها ذكرها القاضي بهاء الدين بن شداد رحمه الله، في كتابه: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، -وهو كتاب يحكي تاريخ معارك المسلمين بقيادة صلاح الدين مع النصارى- قال رحمه الله: في وقعة الرمل الذي على جانب عكا، يقول: "ومن نوادر هذه الوقعة أن مملوكاً كان للسلطان يدعى سرا سنقر وهو من المسلمين، وكان شجاعاً، قد قتل من أعداء الله خلقاً عظيماً، وفتك فيهم، فأخذوا في قلوبهم من نكايته فيهم، فمكروا به، وتجمعوا له وكمنوا له، وخرج إليه بعضهم وتراءوا له يستدرجونه، ليخرج من عسكر المسلمين ليقاتلهم، فحمل عليهم، وكان شجاعاً لا يخاف، حتى صار بينهم فوقع في الكمين، ووثبوا عليه من سائر جوانبه فأمسكوه، وأخذ واحد من النصارى بشعره، وضرب الآخر رقبته بسيفه، واحد من النصارى أمسك بشعر المسلم، وهم يحيطون به من كل جانب، والآخر رفع سيفه فضرب رقبة المسلم، فإنه كان قتل له قريباً؛ لأن هذا المسلم كان قد قتل قريباً لهذا الكافر، فرفع سيفه ليضربه، ماذا تظن يا أخي المستمع، ماذا تظن أن يفعل الله في تلك اللحظات؟ ماذا تظن وتحسب أن يحدث؟ وكيف ينقذ الله رجلاً في هذا الموقف؟ يقول: فوقعت الضربة في يد الماسك بشعره، فقطعت يده، وخلى عن شعر المسلم، فاشتد هارباً حتى عاد إلى أصحابه،

وهذه الشدائد التي تصيب المسلم في حياته بشتى الصور، هذه أيها الإخوة لا بد لها من فوائد، إن للشدائد فوائد بالرغم من أنها مكروهة للنفس، فمنها: أن الله يكفر بها الخطايا، ويرفع بها الدرجات، ويدفع الكربُ المكروبَ إلى التوبة، ويلجأ إلى الله، وينكسر بين يديه، وهذا الانكسار أحب إلى الله من كثير من العبادات، أن ينكسر المخلوق لله سبحانه، وأن يشعر بذله أمام الله، وأن يشعر بحاجته إلى ربه، وافتقاره إلى خالقه، فينقطع إلى الخالق ويترك المخلوق، وهنا يتحقق التوحيد، ويتنقى من أدران الشرك بأنواعها، ويخلص الإنسان لربه.

أخي الفاضل علينا أن نوقن بالفرج من عند الله علينا التضرع لله عزوجل أن يرفع عنا هذا البلاء ..

أيها ألإخوة حافظوا على الدعاء والأذكار دعاء الخروج من المنزل أذكار الصباح والمساء أذكار النوم قيام الليل ابتهلوا لله عزوجل أن يرفع عنا هذا البلاء ..

للهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة اللهم فرج عنا وارفع هنا هذا البلاء والوباء عاجلا غير آحل اللهم احفظ بلادنا وسائر بلاد المسملين من هذا الوباء وفرج عنا ما نحن فيه.